المكون النحوي في تفسير المداخل المعجمية – بين الضرورة والاستغناء

The grammatical component in the interpretation of lexicon entries - between necessity and redundancy

د/ علي صالحي (أستاذ محاضر ب)

جامعة Université M'hamed Bougara Boumerdès

البريد الإلكتروني: ali35salhi@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2019/05/19 تاريخ القبول:2019/06/05 تاريخ النشر: 2019/09/21

ملخص:

أدرك العلماء الأوائل أن اللغة تحفظ بسبيلين اثنين؛ أحدهما وصفي متعلق بالمفردات وهو الرسائل اللغوية، والمعاجم بنوعيها والهدف منها جمع الرصيد اللغوي وحفظه، والثاني معياري مرتبط بنظام اللغة الذي يضبطها ويقعدها حتى تحقق الغاية المنوطة لها دون إهمال للمستوى الصرفي والاشتقاقي والتصريفي، والذي يمثل القاسم المشترك بين الدراسات المعجمية والنحو. إلا أن علماء المعاجم منذ العهد الأول إلى زمننا هذا يهملون المستوى النحوي أو التركيبي في الدراسات المعجمية ويهتمون فقط بالمستوى الإفرادي والمستوى الدلالي، إيمانا منهم أن المستويين كافيين للصناعة المعجمية بحكم أن المعجم يهتم بشرح الألفاظ ، إلا أن واقع الصناعة المعجمية من زمن الخليل يؤكد أن للمعجم معنيان (معنى تعريفيا، ومعنى سياقيا) فإذا كان الأول مرتبطا بالشروحات الإفرادية فإن الثاني مرتبط أساسا بالسياقات والسياق لا يكون إلا بالتركيب، من هذا المنطلق كانت الفكرة حول أهمية المستوى التركيبي والمتمثل معجميا في المكون النحوي وأهميته في الصناعة المعجمية.

الكلمات المفاتيح: المعجم؛ الصناعة المعجمية؛ المكون النحوي، السياق؛ التركيب,

الملخص بالإنجليزية

The first scientists realized that the language is preserved in two ways: one descriptive vocabulary, which is the linguistic messages, and the two dictionaries, the purpose of which is to collect and preserve the linguistic balance. The second is related to the language system that controls and restores it until it achieves its objective without neglecting the literal, Between lexical studies and grammar. However, the scholars of the dictionaries since the first era to our time neglect the grammatical or syntactic level in lexical studies and are interested only in the individual level and the semantic level, believing that the two levels are adequate for the lexicography, since the lexicon is interested in explaining the words. However, Two meanings (meaning definition, and contextual meaning) If the first is linked to individual explanations, the second is mainly related to contexts and context is only the composition, from this point was the idea about the importance of the syntactic level and the grammatical component in the grammatical component and its importance in the lexicography

Key words: Lexicon; lexicography;; grammatical component, context

تمهيد:

إن الاهتمام البالغ الذي أولاه العلماء للغة العربية بعد ظهور الإسلام يرجع لتلك المكانة التي صارت لها لغة القرآن الكريم، فكان اتجاه العلماء منصبا على معرفة أسرار اللغة العربية، وقوانينها، وإدراك خفاياها ومعرفة غريبها ودخيلها ، وكان عبر مسلكين اثنين انتهجهما الدرس اللساني القديم، مسلك بحث فيه عن قوانين هذه اللغة وضوابطها ونواميسها وهو النحو في عمومه وما يتصل به من صرف وبلاغة، ومسلك حاول فيه أصحابه جمع ألفاظ اللغة ومفرداتها في وعاء حافظ يصون اللغة من الخلط والاندثار وهو التأليف المعجمي.ويمثل هذا المسلك معرفة أدركتها الأمة العربية في العصور الأولى للمحافظة على اللغة العربية.

لعل أهم ما يميز المرحلة الأولى الابتدائية للحفاظ على اللغة العربية هو إدراك العلماء أن اللغة نظام قائم على النحو وهذا النظام مادته الأولية هي الألفاظ، فكان الحديث عن مستوى تركيبي قائم على النحو ومستوى إفرادي تمثل في الرسائل اللغوية والمعاجم العربية وأولها معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي اعتمد فيه صاحبه على المستوى الصوتي سبيلا له للوصول إلى إحصاء مفردات اللغة العربية بمستعملها ومهملها، وهذا ما يؤكد أن الدراسات اللغوية العربية القديمة نشأت وهي شاملة للمستويات اللغوية (الصوتي، الإفرادي، التركيبي، الدلالي).

إنّ التوازي الحاصل بين الدراستين (النحوية والتأليف المعجمي) جعل الكثير من الباحثين القدامى والمحدثين يجمعون على إبعاد المكون النحوي من مجال الصناعة المعجمية والتأليف المعجمي. والانفصال بين النحو والمعجم، وأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان. لكن إذا وقفنا على تفسير التعدد المعنوي المعروف عند العرب منذ البدايات الأولى للتأليف المعجمي بمختلف مباحثه من ترادف واشتقاق وتضاد واشتراك بأنه تعدد خاضع للسياق، والسياق نتاج المستوى التركيبي، ألا يمكننا اعتبار المستوى النحوي مكونا أساسا في شروحات مداخل المعاجم؟ وما يسمى سياقا أو معان سياقية في الصناعة المعجمية من تعريفات مختلفة أليست نتاج معان واردة في تراكيب مختلفة؟ وهل يمكن للفظة وحدها أن تكون سببا في تعدد المعاني ؟

1- **تعريف المعجم:**

ورد في عرف اللغويين أنّ المعجم " كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من الألفاظ يقوم بشرحها" [1] وفي معناها الاشتقاقي يقول ابن جني" اعلم أنّ (ع ج م) إنّما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح من ذلك قولهم: رجل أعجم، وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما وكذلك العُجم

والعَجم..." [2] والعلاقة بين الأصل الذي يدل على الإبهام والفرع الذي يدل على الإفصاح هي صيغة فعّل بالتضعيف، وأفعل بالهمز فإنهما تأتيان لتدلا على عكس معنى الأصل ف" أعجمت وزنه أفعلت هذه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب نحو أكرمت زيدا أي أوجبت له الكرامة....."[3]

أما في اللسانيات الحديثة عرف المعجم من الناحية الشكلية أنه يشمل مفهومين: الأول عام والثاني خاص, وهذا ما أورده إبراهيم بن مراد من أنّ " لمصطلح المعجم في اللسانيات الحديثة مفهومان الأول عام؛ وهو مجموع الوحدات المعجمية التي تكوّن لغة جماعة لغوية –ما- تتكلم لغة واحدة، أي أنه مجموع المفردات المكونة للغة ما من اللغات، والقابلة للاستعمال بين أفراد الجماعة اللغوية ليعبروا بها عن أغراضهم، فالمعجم بهذا التعريف هو حقل الألفاظ المشتركة والمستعملة بين الجماعة اللسانية والذي يرتبط بمفهومي (القدرة والملكة اللغوية)" المرتبطان أساسا بالبنية العميقة والبنية السطحية القائمة على التركيب ويضيف بن مراد في حديثه عن المفهوم الثاني أنه مفهوم خاص " وهو مدونة المفردات المعجمية في كتاب، مرتبة، ومعرّفة بنوع ما من الترتيب والتعريف" وقد تكون المدونة خاصة أو عامة .

2- **الصناعة المعجمية:**

2 -1: تعريف الصناعة المعجمية:[4]

- **قديما:**

المتتبع لتاريخية الصناعة المعجمية يدرك أنها وليدة قرون متتالية وضاربة في أعماق التاريخ فليست حديثة عهد وإن كان المصطلح حديثا إلا أن التأليف المعجمي عرف مع **الآشوريين** الذين ألفوا معاجم على نظام الإشارات المقطعية ذات القيم الصوتية بعدما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة ، و**الصنيين** الذين أنتجوا عددا من المعاجم وفق النظام الصوتي، وأقدم ما عرف عنهم يعود إلى الفترة الممتدة ما بين 20ق م، وميلاد المسيح، ومن آثارهم معجم (يوبيان) ل كوبي ومعجم شوفان ل هوشان ، وألف **اليونانيون** إذ ذكر أثنيوس خمسة وثلاثين كتابا على أنها معاجم لغوية ومن أقدمها يوليوس بولكس وهو كما وصفه العطار " كالمخصص لابن سيده مرتب على معاني الموضوعات ومعجم (هلاديوس السكندري) وكان في القرن الرابع للميلاد"[5] .

أما **الهنود** فقد بدأت الأعمال المعجمية في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح لمعناه، وتطورت فيما بعد هذه المعاجم إذ

خرجت عن دائرة النصوص المقدسة لتشمل لغة العامة وأكثرت الاهتمام بالمشترك و المترادف، وأول معجم ظهر في الدراسات الهندية كان في القرن السادس ميلادي وعنوانه (أمارسنها) لِمؤلفه أماراكوزا.

أما الأمة العربية فقد عرفت كغيرها من الأمم الصناعة المعجمية، ولقد وصفها الباحثون في هذا المجال على أنها رغم سبق الأمم الأولى لها إلا أنه لا يوجد أي " أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث تفننت في وضع معاجمها وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب ، وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفذ كل الاحتمالات الممكنة وقد كان العرب منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة وهما اللفظ والمعنى" [6]

- **حديثا:**

عرّف إبراهيم بن مراد المعجمية التطبيقية (الصناعة المعجمية) lexicographe أنّ " موضوعها البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية (Entrées lexicales) تجمع من مصادر ومن مستويات لغوية ما"[7] وحدد القاسمي الخطوات الأساسية لبناء المعجم وهي " جمع المعلومات والحقائق، اختيار المداخل، وترتيبها طبقا لنظام معين وكتابة المواد، ثم نشر الناتج النهائي وهذا الناتج هو المعجم أو القاموس" [8]

أما محمد رشاد الحمزاوي فيطلق على الصناعة المعجمية مصطلح (المعجمية) بفتح الميم، ويعرفها بقوله" المَعجمية نعني بها صناعة المعجم من حيث مادته وجمع محتواه ووضع مداخله وترتيبها وضبط نصوصه ومحتوياته وتوضيح وظيفته العلمية والتطبيقية أداة ووسيلة يستعان بها في الميادين التربوية والتلقيني والحضارية والاقتصادية والاجتماعية"[9] فالوسائل والخطوات لا تكفي في تفكير رشاد الحمزاوي إنما النظر في الوظيفة والهدف من استعمال المعجم وهو إشارة للمعاجم المتخصصة.

ومن هذه المفاهيم يتضح لنا أنّ الصناعة المعجمية كإجراء كان موجودا عند العرب وما قاموا به من تأليفات بداية من الخليل إلى عصر الشدياق يُنم عن فكر واع في صناعة المعاجم، ولعل السر في ذلك هو الموروث الغوي العربي من مفردات باختلاف لهجاتها ونزول القرآن الكريم بلغة كانت معروفة لدى العرب جعلت المعجم العربي موسوعة لفظية ومعنوية ، وكان دافعا للانفتاح على التأليف المعجمي بمدارسه المختلفة والمتنوعة، مما تعلق باللفظ أو بالمعنى، وهذه المدارس المعجمية والتقسيمات فتحت الباب للحديث عن المعجم وعلم الأصوات وعلم الصرف، والمعجم وعلم الدلالة لما لهما من علاقة تكاملية. إلا أن الحديث عن المعجم والنحو أو التركيب فقليل للفكرة القائلة بعدم وجود علاقة بينهما بحكم ان المعجم يهتم باللفظة المفردة والنحو يهتم بالتركيب .

3- **علم الصرف وعلم المعاجم:**

تعد الدراسة الصرفية القاعدة الأساسية لدراسة المعجم، والتي تأتي بعد الدلالة الصوتية الناتجة عن ترابط الأصوات فيما بينها في قالب صرفي واحد ، وتعلق هذه الأصوات فيما بينها في شكل نظمي ينتج كلمات ذات دلالة تحمل في أصلها الأول الدلالة التعريفية (المعجمية) والتي تقدم المعنى العام التعريفي للكلمة الواحدة وهذه الأخيرة تتعدد معانيها باختلاف السياق والمقام والذي يتحكم فيه المستوى النحوي التعبيري.

إن الصلة الوثيقة بين علم الصرف وعلم المعاجم[10] تظهر في تلك العلاقة المبنية على ترابط الكلمات الصرفية المعجمية والذي يدعى بعلم الصرف الاشتقاقي Morphologie dérivationnelle والذي يتداخل مع علم الصرف المعجمي Morphèmes lexicaux .

أما النوع الثاني فهو علم تصريف الوحدات الصرفية المعجمية ويدعى بعلم التصريف Morphologie flexionnelle .

إن ارتباط الصرف بالمعجم في النوع الأول لا يخرج عن ثلاث عناصر أساسية تتحكم في طبيعة العلاقة بين الصرف والمعجم وهي:[11]

- بنية الوحدات المعجمية من حيث هي بنية صرف، أي اعتبارها وحدة بسيطة قد تكونت من جذع فجذع تتفرع منه فروع.
- بنية الوحدة المعجمية من حيث هي بنية تمييزية يحصل هذا التمايز من خلال الصيغ الصرفية التي تقولب فيها الكلمة المعجمية. فكلمة (كاذب) و(كاتب) تختلفان من حيث البنية الصوتية بالنظر إلى حرف الذال والتاء، أما إذا نظرنا في الجانب الصرفي فإن القالب الذي جاءت عليه كاذب (فاعل) هو نفسه كاتب(فاعل) فكليهما ينتميان إلى النمط الصيغي (فاعل) وهما يختلفان عن (كاتَبَ) و(كاذَب) من حيث النمط الصيغي (فاعَل) وفي تغير الحركات تتغير المعاني.
- بنية الوحدة المعجمية الجديدة المتولدة توليديا صرفيا، وأحسن ظاهرة لهذا التوليد أو النمو اللغوي هو الاشتقاق.

إن العلاقة الصرفية المعجمية في نوعها الأول لا تخرج عن بنية الكلمة باعتبار بنيتها الداخلية ودلالة هذه البنية المتولدة عن صيغ الكلمات بعضها من بعض.

أما النوع الثاني فيقوم على تقديم المعلومات التي يحتاج إليها مستعمل المعجم غير المتخصص، خاصة ما تعلق ببيان التنوعات الشكلية للكلمة، وخاصة في لغة اشتقاقية كالعربية مع بيان معاني الصيغ حين يكون لوزن الكلمة تأثير في تحديد معناها وذكر تصريف الأفعال المجردة مع ضبط عينها في كل من الماضي والمضارع نظرا لعدم قياسية هذا النوع من الأفعال من ناحية وصعوبة ضبطه من ناحية أخرى، وذكر الجنس الذي ينتمي إليه اللفظ بالإضافة إلى بيان المعلومات النحوية والصرفية التي يجب أن يهتم بها المعجم ببيان نوع الفعل من حيث التعدي واللزوم[12] والنص على الحرف الذي يتصل بالفعل ونوع المفعول وإذا تتبعنا معظم مقدمات المعاجم العربية وجدناه قد ذكرت ملخصا عن أهم القواعد والأحكام العملية الصرفية لبيان طريقة عرضها لمداخلها المعجمية[13]

4- **علاقة علم الدلالة بالمعجم:**

علم الدلالة هو العلم الذي يقوم " بدراسة المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة أي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[14] فموضوع دراسة هذا العلم كل شيء له معنى، أو يقوم بدور الرمز أو العلامة سواء كان لغويا أم إشاريا.

يتميز علم الدلالة عن فروع علم اللغة الأخرى بأنه " غاية الدراسات الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية "[15] إذ لا يمكن دراسة الصوت كظاهرة مجردة خالية من معانيه في تناظمه ولا الكلمة المفردة والتي تشكل مستوى أساس للوحدات المعجمية لدرجة أن اعتبرها بعضهم (الكلمة) الوحدة الدلالية الصغرى[16] ذات الجانبين:

- جانب تعريفي مرتبط بالمعجم
- جانب تعبيري مرتبط بالسياق

(إذ أن من أهم غايات القاموسية دراسة معاني الوحدات العجمية)[17] لأن اللغة الإنسانية أشبه بكائن حي تنمو فلا تلزم معنى واحدا على مدار العصور , وهذا ما يعرف في علم الدلالة بقضية التغير الدلالي , لأن معاني هذه الوحدات تتغير بحسب الزمن و المستعمل فتصبح منها وحدات كانت مستعملة في زمن ما و أهملت في زمن آخر , و أخرى وحدات كانت مستعملة وإن العوامل التي تتحكم في هذا التغير عوامل اجتماعية ثقافية سياسية نفسية , وقد تفطن العرب قديما لهذا ومن أهمهم ما قام به الخليل في معجمه بتوظيفه المستعمل و المهمل .

فقضية الدلالة من القضايا الهامة التي يلتفت إليها المعجمي في عمله لأن المعجم في حد ذاته يقوم على معنى الكلمات , وللكلمة في المعجم معنيان : معنى عام في ذاتها أي دلالتها المستقلة ومعنى خاص تتقيد به عندما توظف في التركيب فتتقابل مع غيرها من الكلمات , فالكلمة إذن في المعجم معنى عام شائع , و لكن عندما تتركب مع غيرها تكتسب معنى محددا ذا دلالة محددة وواحدة , و هنا تظهر أهمية النحو في تحديد دلالة الكلمات , فالمعجمي حتى يصل إلى مجموعة من المعاني المختلفة التي تحملها الوحدة المعجمية عليه أن يلجأ إلى النحو لوجود علاقة تكاملية بين الدلالة و النحو , فالمعنى لا يصل لذهن المستمع إذا كان التركيب غير سليم , كقولنا مثلا خرج محمد بغير إفطار , فإن هذه الجملة لها معنيان معنى تام بتقابل هذه الوحدات مع بعضها البعض أي السلامة اللغوية من حيث التركيب أي المعنى الذي يحمله السياق التركيبي السليم ومعنى خاص الذي يتمثل في معاني هذه الوحدات المعجمية و هي مستقلة قبل دخولها في السياق وهي "خرج" بمعنى الخروج من البيت وهو فعل , "محمد" اسم علم وهو الفاعل , "بغير إفطار" بمعنى دون أكل , وقد توصلنا لهذا المعنى التام لأن التركيب النحوي سليم , أما إذا قلنا إفطار بغير خرج محمد فإن هذا التركيب الذي يتكون من وحدات معجمية لها معانيها العامة معروفة فإنها لم تؤدي المعنى التام و إنما أدت معنى خاص تحمله كل وحدة دون أن يكون له صلة بباقي المعاني التي تحملها الوحدات الأخرى و هي مستقلة أو مرتبة ترتيبا عشوائيا في تركيب ما.[18] وهذا ما يثبت الصلة القائمة بين علم النحو والمعجم.

5- العلاقة بين المعجم و النحو :

" من الملاحظات المألوفة في علم اللغة , الملاحظة القائلة إن النحو و المعجم قسمان مهمان في البنية اللغوية , و تتغير علاقة المعجم بالنحو تغيرا كبيرا , من نظرية لغوية إلى أخرى "[19] و ذلك بحسب رؤية كل جهة إلى المفهوم الذي تعتمده للمعجم أو النحو , أما إذا نظرنا إلى هذين الآخرين من الزاوية التي وظفها علماء اللغة في تراثنا العربي , وجدناهما يمثلان الأساس الذي اِعتمد عليه في وضع ركائز الدرس اللغوي القديم , وهو ينم عن وعيهم المبكر بضرورة جمع اللغة , ووضع أسس ثابتة لها تكفل حفظها ونقلها بالصورة اللائقة الواجب أن تكون عليها , ولم يكن ذلك محض صدفة , لا من حيث الإطار الزماني الذي تزامن فيه العمل المعجمي مع المحاولات الأولى للدرس النحوي , بل كان إدراكا منهم لحقيقة النظام اللغوي الذي ينبني بتلاحم جميع مستوياته دون الفصل بينها هذه النظرة الشاملة الفاحصة , و التي سعت إلى وصف النظام اللغوي و استقرائه , أقرت بطريقة غير مباشرة على ضرورة التعامل مع أنظمة اللغة بطريقة متكاملة ومترابطة , للوصول إلى استنتاجات يقينية تدعم فكرة الكل و أن هذه اللغة و إن تعددت مستوياتها يبقى سعيها الوحيد تحقيق عملية التواصل , وهي النقطة التي لا يختلف فيها المعجم و النحو فإن كان الأول يمثل ألفاظ اللغة

فإن الثاني يمثل النظام الذي يضمن لهذه الألفاظ الاستعمال السليم و الصحيح , ولا يتحقق هذا السعي إلا من خلال العودة إلى المفهوم القديم للمعجم والنحو ذو الرؤية الشاملة العامة بحيث يكون الأول مقابلا للغة باعتباره الرصيد اللغوي المختار في زمن ومكان شهد له بالفصاحة والفطرة السليمة. أما الثاني فبالإضافة إلى اهتمامه بأواخر الكلم و الإعراب فهو يولي اهتمامه بالمباحث الصرفية و التي تعتبر جزءا منه لا قسيما له, " فعلم التصريف و موضوعه علم الصرف بما فيه من تصريف واشتقاق "[20] يدخل في مجال الدراسة النحوية التي كان النحاة الأوائل لا يقيمون تفرقة بين علومها فيقومون بدراسة اللغة من منظور تركيبي الذي يمكن من خلاله تحديد الدلالات و المعاني المختلفة مع العلم أن كل اختلاف في معنى يكون تابع لاختلاف في أحد عناصر هذا التركب و هذه المعاني المختلفة لطالما سعى المعجم لإيضاحها و بيان معانيها المتعددة " فهي إما أن تكون معاني لغوية أو معاني سياقية أو اجتماعية "[21] ومن ينكر وجود هاته الاستعمالات المتنوعة في المعجم- دليل آخر يثبت العلاقة الكامنة بين الطرفين المعجم و النحو – " وهذا ما جعل الكثير من اللغويين يعقدون صلة بين دراسة النحو , وبين المعنى و يجعلون دراسة اللغة في النحو , و تبين كيفية تأدية اللغة ووظيفتها ... و مما لا شك فيه أن المعجم لا يستغني عن النحو فهو يعرض الصيغ في صور نحوية. وهذا ما دفع باللغويين إلى التوصية بأن يكون للمعجم مقدمة موجزة في نحو اللغة التي يعرضها "[22]

إنّ العلاقة الجامعة بين المعجم و النحو لا يمكن الفصل بينهما إذ " ليس من المعول أن نفصل المعجم عن النحو , فالكلمات كما هي مسجلة في القاموس تبدو لأول وهلة غير خاضعة للدراسة النحوية ,التي تقتصر عادة على العلاقات بين الوحدات , لكننا سريعا ما ندرك أن علاقات لا حصر لها يمكن أن تعرض بدقة بواسطة الكلمات كما تعرض بواسطة النحو."[23] إن هذا القول يؤكد أن الوحدات المعجمية و إن بدأت متباعدة غير منتظمة داخل بناء محدد نظرا لاختلاف العلاقات التي تجمعها لكنها مترابطة من خلال ما تقدمه وحدة في مقابل الأخرى أو من خلال ما تعرضه وتوضحه الأنماط النحوية .

وفي إطار تحديد الآراء التي رأت بوجوب التمييز بين النحو و المعجم نعرض بعض الأفكار التي رصدت في سبيل إثبات هذا التمييز:[24]

1) أن النحو يتناول التجريدات التي يطلقها الدارس على صيغ اللغة (جملة اسمية , جملة فعلية , مفرد مثنى جمع ...) أما المعجم يتناول صيغ اللغة ذاتها , لكننا يجب أن نذكر أن الصيغ التي يدرسها النحو موجودة في المعجم بطريقة خاصة .

2) نظرة النحوي للمفردات و الجمل و العبارات تختلف عن نظرة المعجمي الذي يقدم احتمالات معجمية واسعة وهذا الأمر لا يخلو منه أي مجال علمي أو لغوي و ليس هذا التمييز بالحد الفاصل الذي يجعلنا نرفض وجود علاقة بين العلميين.
3) القول أن المعجم يهتم بالكلمات فقط أما النحو فيهتم بكل شيء آخر ناتج عن عدم استيعاب بعض تعاريف النحو التي تشير إلى أن اهتمامه لا يقتصر على الجملة فقط و إنما يهتم كذلك بمباحث التصريف التي عدت من مجال علم النحو و المعجم على السواء.
4) أن النحو يهتم بالشكل أما المعجم فيختص بالمعنى غير أن الواقع يؤكد عكس هذا فالقواعد النحوية تشتمل على معاني التي تحملها الأنماط الشكلية و اللواحق التي تشتمل على أنماط تصريفية و مورفيمات اشتقاقية فكل إضافة تؤثر في السياق النحوي التركيبي و معانيه , والمعجم هو الآخر لا يعطينا معاني مفردات فحسب بل يزودنا بمعلومات شكلية عن سلوكات مستعملة , علاوة على ذلك فإن الشكل و المعنى لا يتعارض بعضهما مع البعض بل يكمل أحدهما الآخر وهذه القضية لطالما تمت معالجتها في التراث اللغوي العربي خاصة مع ابن جنى و عبد القاهر الجرجاني.

إن المتتبع للمسار التاريخي للدرس الغوي العربي يدرك أن ما توصل إليه القدماء أمثال الخليل وسيبويه و من جاؤوا بعدهم قبل تقعيد اللغة و معيرتها من خلال دراستهم لها ككل متكامل دون الفصل بين فروعها و فصولها لإدراكهم المبكر أنّ اللغة هي نظام و بنية يستلزم عدم الفصل بين مستوياتها بل وجب دراستها بمفهومها التركيبي المتكامل من أجل ضمان سلامتها وبقائها على الأصل الذي وضعت عليه وإن شهد الزمان تطورا في استعمالاتها و تعابيرها وألفاظها كفل هذا الأصل لهذا الجديد صورة و قالب يسمح له أن يدخل في إطاره دون الإخلاء بقواعده و أسسه و الذي يلتقي بقول ليس ببعيد عن هذا السياق ليلحق من ليس بأهل العربية بأهلها و إن لم يكن منهم و هذا يتوافق مع ما يشهده العصر من تطور دلالي و علمي و غيرهم.

أما في العصر الحديث " فقد ظل كثيرون ينظرون إلى المعجم على أنه ملحق بالنحو أو قائمة من الاستثناءات الأساسية إلى أن ظهرت نظرية الحقول الدلالية فردت العمل المعجمي إلى حظيرة علم اللغة باعتبار أن هذه النظرية تعطي لمفردات اللغة شكلا تركيبيا يستمد كل عنصر فيه قيمته من مركزه داخل النظام العام و تضع المفردات في شكل تجميعي تركيبي ينفي عنها النسب المزعوم."[25] و هذا ما تم إثباته فعلا من خلال تحليل عدة نماذج مقولية توصلوا من خلالها إلى تبيان العلاقة بين المعجم و التركيب النحوي وهو ما يؤكد فرضية وجود دور مهم لهذا الأخير في تحديد معاني ودلالات و شروح الوحدات في المدخل المعجمي.

لعل المفاهيم والشروحات النظرية لا تتضح إلا بالوقوف على مثال توضيحي من معجمين مختلفين الأول مصنف ضمن معاجم المعاني وهو المخصص لابن سيده، والثاني صنف في معاجم الألفاظ وهو لسان العرب لابن منظور .

وفي وقفة مع كتاب خلق الإنسان باب حلق الشعر في المخصص، ومادة (حلق) في لسان العرب تتضح العلاقة التي لا يمكن الفصل فيها أو الاستغناء عنها في الصناعة المعجمية، وهي العلاقة التكاملية بين المعجم والنحو.

6- **النموذج التطبيقي.**

- **المخصص لابن سيده**

كتاب خلق الانسان باب حلق الشعر-[26]

أبو زيد :حلق الشَّعر يحلقه فهو محلوق وحليق وحلَّقه وهو التَّحْلاق ويوم التَّحاليق من أيامهم والمحلَّق – موضع حلق الرأس بمنى وقد احتلق والمحلق –الكساء الخشن الذي يحلق الشعر خشونته والحَلَقَة- الذين يحلقون الرؤوس.

أول ما يمكن الإشارة إليه هو أن المدخل المعجمي في معجم المخصص لابن سيده من باب حلق الشعر تمثل في وحدة تركيبية معجمية وهي حلق الشعر وهذه الوحدة المعجمية جاء بصيغة تركيبية نحوية تمثلت في التركيب الإضافي لوحدتين من الوحدات المعجمية المفردة متكونة من حلق+الشعر،وهذا التركيب لو قمنا بالفصل بين وحداته المعجمية لقدما لنا معنى خاص لكل وحدة على حدى فوحدة حلق مثلا لو أخرجناها من تركيبها هذا لأعطت لنا عدة معاني بإضافتها إلى وحدات أخرى (حَلَقَ على وزن فَعَلَ=حلق اللحية ،حلق الذقن ،حلق الشارب...)وقد خصص ابن سيدة حلق الشعر دون غيره والذي أفرد له بابا خاصا له لشرح ما يمكن أن يندرج تحت هذا التركيب المعجمي وإذا تمعنا فيه وجدناه يمثل تعريفا عاما لما يمكن أن يندرج تحته من دلالات معجمية تبث استعمالها عند العرب فكان تعريفه المعجمي للحلق مرتبطا بالشَّعر لما في ذلك من تعميم .هذا من جهة أما من الجهة التصريفية فإن هذا التركيب المعجمي يحتوي على بنيتين صرفيتين يمكن الفصل بينهما كما أشرنا سابقة ويمكن لكل بينة أن يقدم دلالة مفردة مختلفة عن الاخرى لكن لايمكنها أن تحقق دلالة معجمية تامة بالمعنى الذي أريد لها في الاستعمال.

يتبع ابن سيده شرحه بقوله:**حلق الشَّعر يحْلِقه فهو محلوق**، فلفظة حلق هي فعل ثلاثي متعدي جاء على وزن **فَعَلَ وهي وحدة** تصريفية خالية من الزوائد فمثلث لنا جذراً تم اشتقاق عدة صيغ ووحدات صرفية منه:

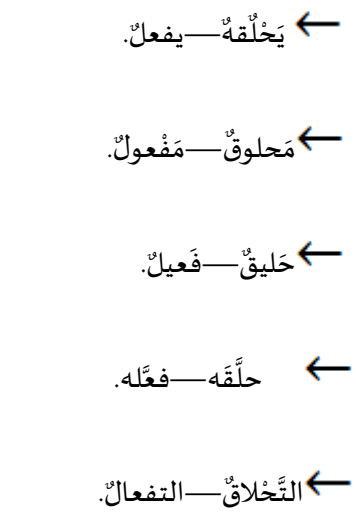

وكل هذه الأوزان الاشتقاقية التي أضيفت لها زوائد إلى الجدر الثلاثي للفعل **حَلَقَ** استلزمتها التراكيب التي وظفت لشرح المدخل المعجمي **حلق الشَّعر** وهذا التركيب ضم فعلا ماضيا وفاعلا مستتراً تقديره هو ومفعولا به يعود على الشَّعر وتجدر الإشارة إلى أن التعريف المعجمي الذي قدمه ابن سيدة حوى عدة تراكيب نحوية أخرى تماثل هذا التركيب مثل:**يحلقه** المتكون هو الآخر من فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ،أما قوله:**فهو محلوق** فهو تركيب جاء لبيان صفة الشعر بعد وقوع فعل الحلق عليه وهو ما تدل عليه الوحدات المعجمية التي جاءت تابعة ومعطوفة على التركيب الأول بقوله: **وحليقٌ..**

والمتمعن في كلا الوزنين الصرفيين:محلوق-على وزن مفعول. / حليق-على وزن فعيل.

يلاحظ أنَّ كلا الوزنين من الأوزان الدالة على المبالغة غير أن وظيفتهما في هذا التركيب جاءت للدلالة على صفة الشعر بعد أن وقع عليه فعل الحلق.

ومن جهة أخرى فقد حمل هذا المدخل المعجمي بشروحه عدة مقولات تصريفية التي تعد من أهم خصائص المكونات النحويةوالمتمثلة في:

وعليه فإن مقولة الجنس أفادت أن السياق تعود على المذكر الخاص بالشعر دون غيره فلم تضف إليه الزائدة الدالة على المؤنت'تاء التأنيت' فخصص بذلك التركيب لجنس المذكر.

أما مقولة الزمن الذي تضمن الماض في قوله:**حلق الشعر والمضارع يحلقه** مما يدل على أنَّ هذا الجذر الثلاثي من الأفعال المتصرفة التي تتغير بتغير الأزمنة والتراكيت الموظفة داخلها.

وتعود مقولة العدد على المفرد كون أن هذا التركيب استعمل في سياقه المفرد على اعتباره الأصل في الاستعمال العربي.

مقولة الصفة التي وظفت للدلالة على حالة الشعر بعد وقوع فعل الحلق والتي جاءت بوزنين من أوزان المبالغة لتأدية وظيفة نحوية تركيبية أساسها بيان حال وصفة الشعر.

وعليه فإنَّ هذا المدخل المعجمي الذي جاء عبارة عن تركيب إضافي قد شمل عدة بنى تركيبة نحوية في تعريفه تضمنت أشكالا تصريفية واشتقاقية استلزمتها توظيفات مختلفة للفعل حلق والذي خص بالشعر دون غيره كما تضمن عدة مقولات نحوية تعد من أهم الخصائص المكونة للبنى النحوية في اللغة والتى يستند عبيها في بناء التعاريف المعجمية العربية باعتبارها لغة إعرابية واشتقاقية .

- **لسان العرب لابن منظور:**[27]

مادة حلق:

الحَلقُ :حلق الشعروالحلقُ:مصدر قولك حلق رأسه وحلقوا رءوسهم:شدّد للكثرة والاحتلاق: الحَلقُ، يقال :حلق معزه ولا يقال:جزَّه إلاّ في الضأن وعنز مَحْلُوقَة وحُلاقة المعزى بالضم:ما حلق من شعره ...يقال:حاق معزاه إذا أخذ شعرها وجزَّ ضأنه وهي معزى محْلُوقَةٌ وحَليقةٌ وشعر مَحْلوقٌ ويقال لحية حليقٌ ولا يقال حليقة قال ابن سيده:ورأس حَليقٌ محْلوقٌ...والحُلاقَةُ: ما حُلق منه يكون ذلك في الناس والمعز والحليقَ:الشعر المحلوق والجمع حِلاقٌ.

يقدم لنا ابن منظور في مدخل **حلق** العديد من الشروح المعجمية بطريقة موسعة مستفيضة عن طريق ما جمعه من استعمالات مختلفة تبث استعمالها في اللسان العربي ويمثل هذا المدخل جذرا ثلاثي كلما غيرنا حركة من حركات حروفه قدم لنا دلالة معجمية جديدة .

يقول ابن منظور:الحلق حلق الشعر والحلق :مصدر قولك حلق رأسه وحلقوا رءوسهم: شدد للكثرة.

أول ما يلاحظ أنَّ ابن منظور قد أعطى شرحا مفصلا عاما لهذا المدخل المعجمي من خلال تركيب دال على معناه بقوله الحلق :حلق الشّعر وقد نبه على أنه مصدر دال على فعل يقع على الشّعر دون سواه وقد خصه في شرحه بحلق الرأس بقوله الحلق :مصدر قولك حلق رأسه،وحلَّقوا رءوسهم :وشدّد للكثرة .،في هذه العبارة يشير ابن منظور إلى نقطة جوهرية كون أن ّ إضافة الشّدة إلى فعل الحلق "حلَّقوا" هي مرتبطة بسياق دلالي للإشارة على الكثرة هذا ما يجعلنا نؤكد أن هذه الصيغة الصرفية للمصدر **"الحلق"** تتغير بتغير السياقات المختلفة لاستعمالاتها والتي بدورها تحمل دلالات تركيبية تفرض إضافة زيادات تصريفية لتقديم شروح معجمية بما يتلاءم مع الدلالة المطلوبة.

وعليه فإن هذا المدخل المعجمي والذي عرض في بداية تعريفه بصورة مصدر أخد عدة أشكال صرفية منها:

الحلق-مصدر ،حَلَقَ-فعل ،حلَّقوا-فعل

يمكن استنتاج واستخلاص عدة مقولات نحوية من هذه الاشكال الصرفية:

الحلق-مصدر-مقولة الاسم.

حلق الشعر-فعل –مقولة الفعل+مقولة الجنس (مذكر) بحسب التركيب الذي وقع فيه الفعل.

حلَّقوا-فعل-وبإضافة الزيادة الاشتقاقية للمصدر الحلق وللفعل حلق "الشدة" يمكن استخراج مقولة الصفة الدالة على الكثرة على وزن فعّلوا وهو من الأوزان الدالة المبالغة اقتصاها التركيب بقوله:حلّقوا رؤوسهم لتقديم دلالة معجمية معينة وهي الكثرة .

أما قوله:الاحتلاق: الحلق فهذا يعني أن كل ما تم تقديمه مسبقاً من من تعاريف لمادة **الحلق** يمكن إسقاطه على مادة الاحتلاق مما يجعلنا نستنتج أن هذين الصيغتين الصرفيتين وان اختلفا شكلا اتفقا دلالة ومعنا مع العلم أن الوزن الصرفي لمادة الاحتلاق على وزن الافتعال هو من الأوزان الصرفية الدالة على الحركة كقولنا الابتهاج ،الابتكار ،الانتداب...وغيرهامن الأسماء التي تحمل هذه الدلالة لكن ذلك لا يتم إسقاطه على مادة **الاحتلاق** التي تمثل مصدر آخر لفعل الحلق.

وقد أشار ابن منظور إلى كون الفعل **حلق** هو من الأفعال التي يجوز قولها في مواضع دون غيرها وهو ما نلاحظه بقوله:**حلق معزه ولا يقال جزه إلا في الضأن و عنز محلوقة ،وحُلاقة المعزى:بالضم ما يحلق من شعره إنَّ الدلالة** الصرفية التي تحملها لفظة حلق لا يمكن أن نجعل لها مرادف في الاستعمال اللغوي بما يسمح لنا أن نقابلها بالفعل جزّ وهذا ما يمكن أن نستشفه من قوله :**يقال حلق معزه ولا يقال جزَّه إلا في الضأن** مما يجعلنا نرى أن للتركيب دورا مهما في تحديد الصيغة الصرفية المناسبة لتقديم المعنى المرجو ذلك أن **الحلق** يقع على المعز لقلة وبرها أما الجزُّ فيقع على الضّأن لوجود الصوف.

وعليه:يقال:**عنز محلوقة وحلاقة المعزى بالضم ما حلق من شعره يقال :حلق معزه إذا أخذ شعرها وجز ضأنه ،وهي معزى محلوقة وحليقة وشعر محلوق .**

يمكن استخراج بعض المقولات النحوية من هذا التعريف:

حلق-فعل-مقولة الفعل. محلوقة-مفعولة-مقولة الصفة

عنز محلوقة-مقولة الجنس "مؤنث" بإضافة التاء المربوطة والتي حددها التركيب.

حلاقة المعزى-فعالة-مقولة الجنس "للمؤنث" ومقولة الاسم الذي يعود على الشعر المحلوق.

من الأمور التي نستخلصها أن تعدد الصيغ الصرفية (معزى محلوقة وحليقة وشعر محلوق) –محلوقة – مفعولة ،حليقة-فَعيلة ،محلوق- مفعول.

لها دلالة واحدة تعود على صفة ألحقت بالمعزة التي وقع عليها فعل الحلق وقد تم اشتقاقها لتناسب مواقع تركيبية معينة من استعمالات نحوية ولغوية.

خاتمة:

- مما ورد في التحليل يمكن التأكيد على أنّ المكون النحوي لد دور فعال في تغيير المعاني الصرفية والدلالية كون التعاريف المعجمية لها عدة بنى تركيبية ساهمت في شرح المداخل، إضافة إلى ورود مداخل كثيرة في العاجم العربية مركبة غير مفردة وفي تركيبها علاقة نحوية (إسنادية أو غير إسنادية).
- الوحدة المعجمية الواحدة في معزل عن سياقاتها المختلفة لا يمكن لها تقديم دلالة كافية للمعنى بحكم أن المعاني تختلف باختلاف سياقاتها، والحديث عن السياق هو حديث عن النحو.
- تتغير المقولات المعجمية بتغير المكونات النحوية من تغير مقولة اسم إلى صفة، أو إلى فعل وهذا باختلاف التراكيب المستعملة وباختلاف السياق.
- المعاني الحقيقية والمعاني المجازية في شروحات المعاجم لا يمكن تحديدها ما لم يراعى فيها الجانب التركيبي.

وعليه يمكن القول أن العمل المعجمي , منذ نشأته لم يكن مجرد عمل إحصائي و تجمعي للرصيد اللغوي , بل هو عبارة عن طفرة علمية واعية , أحدثت الكثير من التغيرات في طريقة التعامل مع اللغة , كما ساهم ذلك في تأليف عدة مدونات معجمية كفلت لهذه اللغة السلامة والآمان , على الرغم من التغيرات التي اعترضتها ونضيف إلى ذلك ما تم إنجازه من دراسات حاولت الكشف عن مكنون هذه اللغة وبنائها الداخلي الذي يتضمن مستوياتها اللغوية و هي مترابطة و متكاملة فيما بينها كنظام ثابت ومتماسك مع تطورها الدلالي واللغوي ودون فصل للمستويات اللغوية .

الهوامش:

[1] رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، 2001، د ر، ص 142

[2] ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب، تح حسن هنداوي، دار القلم بيروت،1933 ، ط 2 ، ج1، ص36.

[3] ابن جني ، المصدر نفسه، ص 37.

ينظر، أميل يعقوب ، المعاجم العربية (بداءتها ونشأتها) دار العلم للملايين (د ت)(در) ص 42، و رجب عبد الجواد، المرجع السابق، ص 137، وآل ياسين (محمد حسين) الدراسات اللغوية عند العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط 1، 1980،

[4] من ص 221إلى ص 224، والعطار (احمد عبد الغفور) مقدمة الصحاح، دار الكتاب، دت: دط ص 41/40.

[5] العطار ، المرجع نفسه، ص 41

[6] أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب، القاهرة، ط 8، 2003، ص 175

[7] ابراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم، دار العرب الإسلامي، ط 1، تونس 1997، ص 08

[8] علي القاسمي ، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط2، المملكة العربية السعودية، 1991، ض 3

[9] ينظر عبد القادر بوشيبة، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعجم، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان الجزائر،2015، (د ر)، ص31

[10] ينظر ابراهيم بن مراد/ مقدمة لنظرية المعجم ص 40

[11] ينظر إبراهيم بن مراد ، المرجع نفسه، ص 42/41

[12] ينظر أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 154/153

[13] ينظر المرجع نفسه ص 154

[14] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 11

[15] محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، ط 1 (دت) ص 10

[16] ينظر محمد سعد محمد، المرجع السابق، ص 10

الحبيب النصراوي , التعريف القاموسي بنيته الشكلية وعلاقته الدلالية , المعهد الغالي للغات , ط2 , تونس , 2016 ,

[17] ص19

[18] ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم , دراسات في الدلالة و المعجم , ص18-19

[19] علي القاسمي , علم اللغة و صناعة المعجم , مطابع جامعة الملك سعود , الرياض , 1991 , ص 49 .

[20] ابراهيم بن مراد , مقدمة لنظرية المعجم , في حاشية ص54

ينظر: أحمد محمد أبو الفرج , المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث , دار النهضة العربية , د ط , د ب

[21] ,1996 , ص 11

[22] ينظر: المرجع نفسه , ص 14, 15

[23] ينظر: أحمد محمد أبو الفرج , المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث , ص 13-14.

[24] ينظر: المرجع نفسه , ص14 , وعلي القاسمي , علم اللغة و صناعة المعجم , 49 , 59

[25] أحمد مختار عمر , صناعة المعجم الحديث , ص30

[26] ينظر ابن سيد، المخصص، كتاب خلق الإنسان,

[27] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة حلق

قائمة المصادر والمراجع:

- ابراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم، دار العرب الإسلامي، ط 1، تونس 1997

- ، مسائل في النحو، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997,
- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب، تح حسن هنداوي، دار القلم بيروت،1933 ، ط 2 ، ج1
- ابن سيد، المخصص، كتاب خلق الإنسان
- ابن منظور، لسان العرب، مادة حلق
- أحمد محمد أبو الفرج , المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث , دار النهضة العربية , د ط , د ب 1996,
- أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب، القاهرة، ط 8، 2003
- ، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط 2، القاهرة، 2009.
- آل ياسين (محمد حسين) الدراسات اللغوية عند العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط 1، 1980
- أميل يعقوب ، المعاجم العربية (بداءتها ونشأتها) دار العلم للملايين (د ت)(در)
- الحبيب النصراوي , التعريف القاموسي بنيته الشكلية وعلاقته الدلالية , المعهد الغالي للغات , ط2 , تونس , 2016
- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، 2001، د ر.
- العطار (احمد عبد الغفور) مقدمة الصحاح، دار الكتاب، دت: دط.
- عبد القادر بوشيبة، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعجم، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان الجزائر،2015، (د ر).
- علي القاسمي , علم اللغة و صناعة المعجم , مطابع جامعة الملك سعود , الرياض , 1991
- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، ط 1 (دت)